وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي عبد الحفيظ بالصوف- ميلة

معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

الإجابة النموذجية لامتحان الدورة العادية للسداسي(الأول)

في مادة النص الأدبي القديم (شعر)

الإجابة في شكل مقال :

أولا– مقدمة:

- **<u>الحركة الشعرية في العصر الأموي:</u>**

ازدهرت الحركة الشعرية في العصر الأموي بشكل كبير، متأثرة بمجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، قد فرزت مناخا خصبا للشعراء حتى ينشط فنهم، ويؤثّروا بدورهم في حركة الحياة بصفة عامة. ويؤكد الدكتور قصي الحسين هذا التفاعل بين الأدب الأموي، وهذه العوامل بقوله: "**والحركة الأدبية في العصر الأموي لا تشذ عن حركة الأدب بعامة في عوامل نموها وتلوينها، بل ربما كانت أكثر الحركات الأدبية التي شهدتها العصور الأدبية تأثرا بهذه العوامل**" .

- **تأثير العامل السياسي في الشعر الأموي:**

ويبدو أن تأثير العامل السياسي في الشعر الأموي، كان قويا وواضحا، يتجلى من خلال الانقسام الحزبي الذي وقع بين المسلمين، حول قضية الخلافة أو الحكم، وما أفرزته الظروف السياسية للعصر منذ اغتيال "عثمان بن عفان"، وإلى غاية تولي بني أمية مقاليد لحكم، يقول إحسان النُّصْ: "**كان مصرع عثمان، وتولي علي الخلافة سنة (35 هـ) إيذانا ببدء انقسام المسلمين على أنفسهم، وافتراقهم إلى أحزاب وشيع تصطرع من أجل الخلافة والحكم، واتخذ الطامعون في الخلافة مقتل عثمان ذريعة لمناوأة علي ورفض مبايعته**".

- **<u>الصراع السياسي حول الخلافة:</u>**

ونشأ على إثر هذا الصراع الديني حول الخلافة صراع سياسي؛ حيث تكونت أحزاب سياسية كثيرة، منها الحزب الأموي الحاكم، والحزب الزبيري، وحزب الشيعة، وحزب الخوارج. وقد أشتد الاقتتال بين هذه الأحزاب بالسيوف، وبالشعر، "**وقد ظلت هذه الأحزاب تصطرع حربيا ولسانيا طوال عصر بني أمية**".

حيث كان الشعر حاضرا بقوة داخل أتون هذه الصراعات المذهبية والسياسية، يقوى بها، من جهة، ويقويها من جهة أخرى، يقول الدكتور قصي الحسين في وصف هذه الحركة الأدبية الممثلة في الشعر: "**ولكما كان يقوى العصف السياسي، وكلما كان يشتد أُوارُ القصف العسكري، كلما كانت تقوى حركة الشعر والشعراء بين الناس، فتستمر المعارك على المنابر وداخل الحوزات والخلوات**"؛ إن الشعر في هذا العصر كان داخل معترك الحياة السياسية، وطبعها بطوابع فكرية ولغوية معينة. ونقصد بهذه الطوابع الفكرية تلك القناعات والأفكار والتوجهات السياسية التي يسلكها شعراء الأحزاب السياسية في الدعاية لأفكارهم، أحزابهم، وفي مناوأة خصومهم السياسيين، "وكانت أفكار الحزبيّين والسياسيين وأصحاب الفرق الدينية تطغى على شعر شعرائهم. إذ سارع هؤلاء إلى نظم ذه الأفكار والمعتقدات أشعارهم، من أجل إحكام البيان في دعاويهم ومن أجل تعبئة النفوس بين صفوف جماهيرهم، مما أجّج جذوة الشعر في الصدور وجعلها لا تهدأ قبل أن تحقق غايتها". إن هذا الصراع الذي يصفه

الدكتور قصي الحسين، كان سببا مباشرا في تغذية الأفكار المذهبية والسياسية لدى شعراء كل حزب سياسي. وهذا أمر طبيعي، فالشاعر له حرية الانتماء لسياسي، وله أيضا الحرية في التعبير عن أفكاره، وتوجهاته التي يلتزم بها اتجاه حزبه، فمجال الحرية في العصر الأموي مفتوح أمام الشعراء.

الـعـــرض:

1- الأحزاب السياسية في العصر الأموي: عرفت الساحة السياسية في دولة بني أمية مجموعة من الأحزاب السياسية المتصارعة على الحكم، نذكر منها:

1- الحزب الأموي:

هو الحزب الحاكم الذي تأسس بداية من مقتل الخليفة عثمان بن عفان –رضي الله عنه- "**وقد كان مقتله فرصة مواتية للأمويين، ليستردّوا سلطانهم، وليستأثروا بالخلافة دون بني هاشم، لأن عليا وكثيرا من بني هاشم ومن الأنصار كانوا يرونه أحق بالخلافة من عثمان**" حيث استغل الخليفة معاوية بن أبي سفيان مقتل عثمان، واتخذه ذريعة لأخذ الحكم، لتصير الخلافة أسرة بني أمية، بعد أن بويع معاوية سنة 41 هـ بتنازل الحسن والحسين عن حقهما. إلى أن استقرت الخلافة في البيت المرواني، فلما توفي مروان بن الحكم خلفه ولي عهده عبد الملك ليواصل صراعه مع الأحزاب لسياسية كلها، ودون هوادة.

أولا- شعراء الحزب الأموي:

من الشعراء الذين اشتهروا بمدح بني أمية، ذكر منهم أبو الفرج الأصفهاني: الأخطل التغلبي، وأبو العباس الأعمى، وعبد الله بن الزبير الأسدي، وأبو صخر الهذلي، ونصيب بن رباح، مولى عبد العزيز بن مروان، عدي بن الرّقاع، وأعشى ربيعة وغيرهم. وسأقتصر على ذكر الشعراء المكثرين في مدح بني أمية، وهم: الأخطل شاعر عبد الملك، وجرير بن عطية، والفرزدق.

1- الأخطل التغلبي (22هـ – 92 هـ): يعد الأخطل التغلبي شاعر البلاط في العصر الأموي، وكان أول اتصال له بالقصر الأموي، بعد هجائه لعبد الرحمان بن حسان بن ثابت الذي هجا بني أمية، وشبب برملة بنت معاوية. مما جعل يزيد يغضب منه، ويطلب شاعرا يهجوه، فاتصل بالشاعر كعب بن جعيل التغلبي، وطلب منه أن يهجوا الأنصار فلم يفعل، وأرشده إلى الأخطل، وقال له: "إن لسانه لسان ثور"، فأسرع الأخطل وهجا الأنصار قوم حسان بقصيدة، يقول فيها:

لعـــن الإلـــه بنـــي اليهـــود عصـــابة بـــالجزع بـــين جلاجـــل وصـــرار

ويصف حسان، فيقول:

وإذا نســـبت ابـــن الفريعـــة، خلتـــه كـــالجحش بـــين حمـــارة وحمـــار

ثم يعرِّض بالأنصار قائلا:

ذهبـــت قـــريش بالمكـــارم والعـــلا واللـــؤم تحـــت عمـــائم الأنصـــار

فلما شاعت القصيدة بين الناس فرح بها بنو أمية، وغضب الأنصار، دخل شاعرهم "النعمان بن بشير إلى معاوية بن أبي سفيان غاضبا، وحسر عن رأسه عمامته، وقال: يا أمير المؤمنين، أترى لؤما؟ فأجابه معاوية بدهاء: لا. بل أرى كرما وحسبا".

وقد اتصف مدح الأخطل لبني أمية، وعلى رأسهم عبد الملك بن مروان، بالسياسة أكثر من الخلفاء الذين سبقوه، بدء من معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد، يقول الدكتور إيليا حاوي: "**وإنما نود أن ننوه فيما يلي بعنصر مهم ولج على مدائحه في عبد الملك (...) ذاك هو ا لعنصر السياسي الذي ألف مصيري المروانيين والتغلبيين، ووحّد بينهم في التحالف مع الأحلاف والاقتتال مع الأعداء**"، وهذه الملاحظة على غاية من الدقة والأهمية، أبداها الدكتور إيليا حاوي بعد أن ألم بدراسة شعر الأخطل وموضوعاته وأغراضه الشعرية؛ حيث كان يقتصر شعره من قبل مدحه لعبد الملك بن مروان "على الموضوعات

الوصفية التقليدية"، وربما يعود هذا إلى قلة نضج الوعي السياسي عند الأخطل في بداية حياته الفنية، في عهد معاوية ويزيد، وإلى تبلور فكره السياسي بعد تولي عبد الملك بن مروان الحكم. ولم يكن الشاعر الأخطل ليخرج عن موقف قبيلته السياسي، "ولما تطورت الظروف بعد وفاة يزيد، ودعا ابن الزبير لنفسه بالخلافة، انضمت تغلب إلى صفوف مروان بن الحكم ثم ابنه عبد الملك، حتى اجتمعت الأمة على الأخير بزغ نجم الأخطل في بلاطه على الرغم من نصرانيته". ولو لم يكن العنصر السياسي واضحا وبارزا في شعره لما احتل الأخطل هذه المكانة والحظوة عند عبد الملك بن مروان، ولم يكن ليتخذه شاعره الرسمي.

وقد اشتهر الأخطل بقصيدة: "خف القطين"، التي يبدؤها بوصف رحلة صاحبته في الصحراء:

خـــف القطـــين فراحـــوا منـــك أو بكـــروا ... وأزعجـــتهم نـــوى فـــي صـــرفها غيـــر

إلـــى إمـــام تغادينـــا فواضـــله ... أظفـــره الله فلهنـــيْ لـــه الظفـــر

الخـــائض الغمـــر والميمـــون طـــائره ... خَليفَـــة اللَّـــهِ يُسْتَسْـــقى بـــهِ المطَـــرُ

ومـــا الفـــراتُ إذا جاشـــتْ غواربـــه ... فـــي حافتيـــهِ وفـــي أوســـاطهِ العشـــرُ

وزعزعتـــه ريـــاحُ الصَّـــيْفِ واضـــطرَبتْ ... فـــوقَ الجـــآجئ مـــن آذيـــهِ غـــدرُ

يومـــاً بـــأجْودَ مِنْـــهُ حـــينَ تَسْـــأَلُهُ ... ولا بـــأجهرَ منـــهُ حـــين يجتهـــرُ

مفتـــرشٌ كـــافتراشِ الليـــث كلكلـــهُ ... لوقعـــة كـــائنٍ فيهـــا لـــهُ جـــزرُ

مُقَـــدِّماً مـــائتيْ ألْـــفٍ لمنزِلـــهِ ... مـــا إن رأى مـــثلهمْ جـــنّ ولا بشـــرُ

يَغْشَـــى القَنـــاطِرَ يَبْنيهـــا ويَهْـــدِمُها ... مُسَـــوَّمٌ فَوْقَـــه الرَّايـــاتُ والقَتَـــرُ

حتـــى يكـــون لهـــم بـــاللطف ملحمـــة ... وبالثوبـــة لـــم ينـــبض بهـــا وتـــر

وتَسْـــتَبينُ لأقـــوامٍ ضَـــلالَتُهُمْ ... ويســـتقيمُ الـــذي فـــي خـــدهِ صـــعرُ

ثـــم اســـتقل بأثقـــال العـــراق وقـــد ... كانـــتْ لـــهُ نقمـــةٌ فـــيهم ومـــدخرُ

فـــي نَبْعَـــة مِـــنْ قُـــرَيشٍ يَعْصِـــبون بهـــا ... مـــا إنْ يـــوازَى بـــأعْلى نَبْتِهـــا الشّـــجَرُ

تعلـــو الهضـــابِ وحلّـــوا فـــي أرومتهـــا ... أهْـــلُ الرّيـــاء وأهْـــلُ الفخْـــرِ إنْ فَخَـــروا

حُشْـــدٌ علـــى الحَـــقّ عيّـــافو الخنـــا أُنُـــفٌ ... إذا ألمّـــتْ بهِـــمْ مَكْروهَـــةٌ صـــبروا

وإن تـــدجتْ علـــى الآفـــاقِ مظلمـــةٌ ... كـــانَ لهُـــمْ مَخْـــرَجٌ مِنْهـــا ومُعْتَصَـــرُ

أعطـــاهُمُ الله جـــداً ينصـــرونَ بـــه ... لا جَـــدَّ إلاَّ صَـــغيرٌ بَعْـــدُ مُحْتقَـــرُ

شـــمسُ العـــداوةِ حتـــى يســـتقادَ لهـــم ... وأعظـــمُ النـــاس أحلامـــاً إذا قـــدروا

بنـــي أميّـــةَ نُعْمـــاكُمْ مُجَلِّلَـــةٌ ... تَمّـــتْ فـــلا مِنّـــةٌ فيهـــا ولا كَـــدَرُ

بنـــي أُميّـــةَ قـــدْ ناضَـــلْتُ دونَكُـــمُ ... أبنـــاءَ قـــومٍ هـــمُ آووا وهُـــمْ نصـــروا

بَنـــي أُميّـــةَ إنّـــي ناصِـــحٌ لَكُـــمُ ... فَـــلا يَبيـــتَنَّ فـــيكُمْ آمِنـــاً زُفَـــرُ

واتخِـــذوهُ عَـــدُوّاً إنَّ شـــاهِدَهُ ... ومـــا تغيـــبَ مـــن أخلاقـــهِ دَعـــرُ

وهذه الرائية طويلة في مدح بني أمية والإشادة بخصالهم، وتغلبهم على عدوهم، وخص بهذا المدح عبد الملك إذ صوره مجاهدا في سبيل الله البطش بأعدائه. ثم يهجوا القيسية أعداء بني أمية.

2- جرير:

ويعد جرير أفضل الشعراء الذين عرفوا بمدحهم لبني أمية، يقول الدكتور قصي الحسين: "**يعتبر صوت جرير في مديح الأمويين، أضخم صوت تغنى بأمجادهم، وكان في ذلك مع الأخطل، فرسا رهان، وربما تقدمه في كثير من الأحيان**". وقد تأثر جرير بالأحداث السياسية التي وقت بين بني أمية وخصومهم من الزبيريين والشيعة وغيرهم. فكان له موقفه السياسي المساند لبني أمية، "ولم يلبث أن أخذ يهاجم من ثار على عبد الملك مثل عمرو الأشدق بن سعيد بن العاص. ووقف عند عبد الله بن الزبير يصور فتنته وكيف قضى عليه عبد الملك قضاء مبرمًا، ومضى يمدح عبد الملك وأسرته وأنهم الجديرون من بين القرشيين بالخلافة، منوها بانقياد الأمة له واجتماعها تحت لوائه".

يقول جرير:

ألَسْتُمْ خَيرَ مَن رَكِبَ المَطَايا ... و أندى العالمينَ بطونَ راحِ
وقَوْمٍ قَدْ سَمِوْتَ لهمْ فَدَانُوا ... بدهمٍ في ململةٍ رداحِ
أبحتَ حمى تهامةَ بعدَ نجد ... و ما شيءٌ حميتَ بمستباحِ
دَعَوْتَ المُلْحِدينَ أبَا خُبَيْب ... جماحاً هلْ شفيتَ منَ الجماحِ
فقَدْ وَجَدُوا الخَليفَةَ هِبْرِزِيّاً ... أَلَفّ العِيصِ لَيس من النّواحي
فما شجراتُ عيصكَ في قريشٍ ... بِعَشّاتِ الفُرُوعِ وَلا ضَواحي
رآى الناسُ البصيرةَ فاستقاموا ... و بينتِ المراضِ منَ الصحاحِ

وقام شعر جرير ين غرضين شعريين أساسيين، هما "المديح والهجاء. فالأول لني أمية والثاني لأعدائهم، حيث "لمع جرير كشاعر من شعراء الحزب الأموي بالمديح والهجاء، ولا غرو فشعره في المديح يمكن أن يُرَدَّ إلى أوائل عصر الحجاج (75هـ-95هـ)، حين قدم على صهره وابن عمه الحكم بن أيوب الثقفي، نائبه على البصرة" فمدحه بوجز قال فيه:

خليفةَ الحجاجِ غيرَ متهم ... في معقدِ العزّ وبؤبؤ الكرم

فكتب الحكم إلى الحجاج يخبره عنه، فطلبه، فحمل جرير إليه قصيدة يقول فيها:

منْ سدَّ مطلعَ النفاقِ عليكم ... أمْ مِنْ يَصُولُ كصَوْلَةِ الحَجّاجِ
أمْ مَنْ يَغارُ على النّساءِ حَفيظَةً ... إذْ لا يثقنَ بغيرةِ الأزواجِ
إنَّ ابنَ يوسفَ فاعلموا وتيقنوا ... ماضي البصيرةِ واضحُ المنهاجِ
ماضٍ على الغَمَراتِ يُمْضِي هَمَّه ... وَاللّيْلُ مُخْتَلِفُ الطّرائِقِ داجي
منعَ الرُّشَا وأراكُمُ سُبُلَ الهُدى ... وَاللّصَّ نَكّلَه عَنِ الإدْلاجِ
وَإذا رَأيْتَ مُنافِقِينَ تَخَيّرُوا ... سبلَ الضجاجِ أقمتَ كلَّ ضجاجِ

ففي هذه الأبيات يمدح جرير الحجاج بن يوسف الثقفي مدحا سياسيا خالصا يتصل بالحكم والسياسة، يقول الدكتور شوقي ضيف مؤكدا هذه السمة في شعر جرير: "وقد مدح جرير الحجاج بصفات يجلها العرب من قديم، وبصفات أخرى تتصل بسياسته وولايته للعراق، إذ يقول إنه نافذ البصيرة واضح السياسة، يعرف كيف يخرج من الغمرات والشدائد، ويصور كيف أقام العدل في الناس ومنع الرشوة وقضى على اللصوص وقطاع الطريق".

3- **الفرزدق**: (20هـ-114هـ)، هو أحد أشهر شعراء العصر الأموي واسمه همام بن غالب بن صعصعة الدّارمي التميمي، وكنيته أبو فراس جده صعصعة كان أحد أجواد العرب. وقد اشترى ثلاثين موؤودة وأكثر، من بنات تميم حين فشا

الجوع. والده من سراة القوم وأمه ليلى بنت حابس، أخت الصحابي الأقرع بن حابس. وقد عاش الفرزدق مع أبويه في البصرة، حيث كان ينزل قومه، منذ تأسيسها على يد عمر بن الخطاب.

يقول الفرزدق في عبد الملك بن مروان:

فـــــالأرْضُ للهِ وَلاّهَـــــا خِلِيفَتَـــــهُ وَصَـــــاحِبُ اللهِ فِيهَـــا غَيـــرُ مَغْلُـــوبِ
بَعْـــدَ الفَسَـــادِ الّـــذي قَـــد كـــانَ قـــامَ بـــهِ كَـــذّابُ مكّـــةَ مـــن مَكْـــرٍ وَتَخرِيـــبِ
رَامُـــوا الخِلافَـــةَ فـــي غَـــدْرٍ، فأخطـــأهُم مِنْهَـــا صُـــدُورٌ، وَفَـــازُوا بالعَرَاقِيـــبِ
والنّـــاسُ فـــي فِتنَـــةٍ عَميـــاءَ قـــد تَرَكَـــتْ أشـــرَافَهُمْ بَـــينَ مَقْتُـــولٍ ومحـــرُوبِ
دَعَـــوْا لِيَسْـــتخْلفَ الـــرّحمنُ خيـــرَهُم واللهُ يَسْـــمَعُ دَعَـــوى كُـــلّ مكْـــرُوبِ
تُـــرَاثَ عُثمـــانَ كـــانوا الأوْلِيَـــاءَ لَـــهُ سِـــرْبالَ مُلْـــكٍ عَلَـــيْهِمْ غيـــرَ مســـلوبِ

رغم أن الفرزدق يمدح بني أمية في بعض قصائده، فهذا ليس دليلا على حبه لهم، أو موالاتهم، وإنما هي المرارة لهم لا غير؛ يصف الدكتور قصي الحسين مدح الفرزدق، فيقول: "**أما مدائح الفرزدق التي اتصلت بمصلحته المادية أو مصلحته القبلية، والتي مدح بها الأمويين وولاتهم، فلم تكن غنية في عاطفتها كسائر قصائده التي مدح بها العلويين وأبناء الزبير، وذلك لأنها خرجت عن مبدأ الإخلاص، واتصلت بالأغراض الشخصية ذات النفع المادي البحت**". فكان شعر المدح عند الفرزدق متأرجحا بين آل البيت الذين يخلص في حبهم، وبين خلفاء بني أمية الذين يمدحهم متكسبا لا غير. فجاء شعره فيهم على غير الصدق العاطفي الذي نجده في مدح آل البيت، "**والحقيقة أن الفرزدق، كان إذا مدح الأمويين داجى، وإذا مدح الهاشميين ناجى. وشعره في الأولين رياء، وفي الآخرين محبة وعزاء**".

وقد مدح الفرزدق زين العابدين بقصيدة بعد إنكار هشام بن عبد الملك له، حين جاء يستلم الحجر الأسود، قال فيه:

هـــذا الـــذي تعـــرف البطحـــاء وطأتـــه والبيـــت يعرفـــه والجـــل والحـــرم

وكان الفرزدق مشايعا لآل البيت، "وقد جهر بحبه لهم كما جهر بموالاتهم. ولعل مدحه لزين العابدين دليل على هذا الحب. وهذا ما أغضب هشام بن عبد الملك فحبسه بين مكة والمدينة، فهجاه الفرزدق بقوله:

أتحبســـني بـــين المدينـــة والتـــي إليهـــا قلـــوب النّـــاس يهـــوي منيبهـــا
يقلـــب رأســـا لـــم يكـــن رأس ســـيد وعـــين لـــه حـــولاء بـــاد عيوبهـــا

لما بلغت القصيدة الخليفة هشاما، أطلق سراح الشاعر خوفا من أن تديع بين الناس لما فيها من هجاء شديد. وأكثر خلفاء بني أمية نصيبا في مدح الفرزدق هو الخليفة سليمان بن عبد الملك. غير أنه عرف أكثر بمدح ولاتهم وعمالهم على الأمصار، مثل الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي كان يخشاه لبطشه وشدته على من يخالفه. وكذلك كان يمدح يزيد بن المهلب الذي ينتصر في حروبه.

2- حزب الشيعة:

حزب الشيعة واحد من الأحزاب السياسية المعارضة لبني أمية وحكمهم، وهو من أخطرها على الإطلاق، كما يصفه الدكتور إحسان النص بكونه من: "**أخطر الحركات التي ظهرت في العصر الأموي. وكانت النواة الأولى لظهور فكرة التشيع لعلي قد وجدت منذ وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، حين رأت طائفة من الصحابة أن عليا أولى الصحابة بتولي الخلافة، وكان من هؤلاء سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود الكندي**". لكن الفئة التي رأت بهذا الرأي لم تفلح في أخذ البيعة لعلي كرم الله وجهه إلا بعد مقتل "عثمان بن عفان" رضي الله عنه، فيما عرف "بفتنة عثمان". وقد كان "**لابن سبأ**"

اليهودي دور كبير في نشر هذا الحزب وعقائده اتجاه علي، الذي اختار الكوفة مقرا لخلافته، "وبعد أو بويع علي بالخلافة اختار الكوفة مقرا له، وعاصمة لخلافته، وشايعه الكثير من العراقيين، وصارت العراق وخاصة الكوفة موئلا للشيعة".وقد كان عبد الله بن سبأ وراء إقبال أهل العراق على فكرة التشيع، الذي أصبح عقيدة بالنسبة لهم. يدافعون عنها دفاعا مستميتا في خطبهم ومنابرهم.

وكان الشعر في هذه الفترة على علاقة وطيدة بهذه الأحداث السياسية يتفاعل معها، يؤثر فيها، ويتأثر بها، فالشعر الشيعي "**يتصل اتصالا مباشرا بنشاط الشيعة السياسي. فكل منهما يصدر عن عقيدة سياسية، تنادي بأن الخلافة وإمامة المسلمين، حق لآل البيت وحدهم**". وكان أتباع هذا الحزب من الشيعة يخالفون بني أمية أشد الخلاف ويرون أن بني أمية ليسوا أحق بالخلافة من آل البيت، وأنهم اغتصبوا حق آل البيت في الخلافة، "**وإزاء ذلك كله اندفع شعراء الشيعة يعلنون مواقفهم السياسية تأييدا وانتصارا للأئمة واستنكارا للأمويين وسياستهم التي أخذوا بها الهاشميين وأنصارهم**". وقد اشتهر عدد غير قليل من شعراء الشيعة منذ مقتل علي ابن أبي طالب على يد عبد الرحمان بن ملجم، وكذلك بعد مقتل الحسن والحسين وأبنائهما أيضا، ومن أهم الشعراء، أبو الأسود الدؤلي، والكميت بن زيد الأسدي، وكثير عزة، وغيرهم. على أن هؤلاء الشعراء هم الأبرز في العصر الأموي.

وفيما يلي بعض القضايا السياسية والاتجاهات الفنية التي عالجها شعراء الشيعة، وهي:

1- حب آل البيت:

يحظى آل البيت بمكانة سامية في قلوب المسلمين جميعا، غير أن الشعراء قد أحبوا آل البيت، وعبروا عن ذلك بقصائد شعرية تبرز مكانتهم، وعظم منزلتهم. ومن الشعراء الذين نظموا في هذا الاتجاه، نجد الفرزدق، وأبو الأسود الدؤلي، ابن مفرغ الحميري.

يقول أبو الأسود الدؤلي:

أُحِـــبُّ مُحَمَّـــداً حُبّـــاً شَـــديداً ... وَعَبّاســـاً وَحَمـــزَةَ وَالوصِـــيّا
أُحِـــبُّهُمُ لِحُـــبِّ اللَـــهِ حَتّـــى ... أَجـــيءَ إذا بُعِثـــتُ عَلـــى هَوِيّـــا
هَـــوىً أُعطيتُـــهُ لَمّـــا اِســـتَدارَت ... رَحـــى الإِســـلامِ لَـــم يَعـــدِل سَـــويّا
يَقـــولُ الأَرذَلـــونَ بَنـــو قُشَـــيرٍ ... طَـــوالَ الـــدَهرِ لا تَنســـى عَليّـــا
بَنـــو عَـــمِّ النَبِـــيِّ وَأَقرَبـــوهُ ... أَحَـــبُّ النـــاسِ كُلِّهِـــمُ إِلَيّـــا
فَـــإِن يَـــكُ حُـــبُّهُم رُشـــداً أُصِـــبهُ ... وَفـــيهِم أُســـوَةٌ إِن كـــانَ غَيّـــا

وكان بنو قشير من مناصري عثمان بن عفان، "وكان أبو الأسود نازلا فيهم، فكانوا يرمونه بالليل، فإذا أصبح شكا ذلك، فشكاه مرّة، فقالوا له: ما نحن نرميك، ولكن الله يرميك! فقال: كذبتم والله، لو كان الله يرميني لما أخطأني".

أما الشاعر حرب بن المنذر بن الجارود، فيقول في حب آل البيت:

فحســـبي مـــن الـــدنيا كفـــاف يقيمنـــي ... وأثـــواب كتـــان أزور بهـــا قبـــري
وحبّـــي ذوي قربـــى النبـــي محمـــد ... فمـــا ســـألنا إلّا المـــودة مـــن الأجـــر

من أهم خصائص هذا النوع من الشعر السياسي الشيعي "أنه استطاع أن يعكس بكل صدق حبه لآل البيت، مما جعله يسيل عاطفة مخلصة صادقة".

2- الاحتجاج لعقيدة الشيعة وهجاء خصومهم:

إذا كان للحزب الأموي الحاكم شعراؤه المدافعون عنه، والمؤيدون له في الحكم، فإن لآل البيت (الهاشميون) شعراؤهم أيضا، و"**يعد الكميت أبرز شعراء الهاشميين في الدولة الأموية وأغزرهم شعرا، وأشدهم تفانيا في حب آل النبي، وقصائده المعروفة بـ : "الهاشميات" نموذج لهذا اللون الفريد من الشعر السياسي الذي يتدفق من عاطفة جياشة بحب صادق**".

والكميت بن زيد الأسدي من شعراء الكوفة، مهد التشيع لآل البيت، في صراعهم المرير مع بني أمية، "**وقد شهدت الكوفة في أثناء ثورة زيد بن علي شاعرا كبيرا من شعراء الشيعة جعل من شعره لسانا للزيدية يعبر به عن مبادئها وهقائدها، وهو يحتج لها ويدافع عنها وهو الكميت" وقد اشتهر دون غيره من شعراء العراق الذين يئسوا من الحياة السياسية نتيجة لإخفاق الثورات التي قاموا بها في حربهم مع الدولة الاموية، فقد فشلت ثورة ابن الأشعث التي كانوا يعلقون عليها أملا كبيرا في خلع الخلافة من بني أمية، "ولهذا لن يكون غريبا على أحد أن نجد شعراء الكوفة ينفضون أيديهم من السياسة ومتاعبها، ويلقون فنهم وراء ظهورهم يأسا من الحياة السياسية التي تمر بهم، لأن نفوسهم لم تعد فيها بقية من أمل أو ومضة من رجاء**".

ويمكن أن نشير إلى مسألة مهمة في قضية الشعر السياسي عند الكميت، وهي أنه مرّ بمرحلتين؛ كان الكميت في الأولى متخاذلا في نصرة زيد بن علي، حيث رفض الخروج معه. وفي المرحلة الثانية نجد أنه لم يتوقف عن نظم الشعر في مناصرة آل البيت والدفاع عن حقهم في الخلافة رغم صمت الكثير من شعراء عصره. غير أن الكميت ندم على هذا عندما قتل زيد بن علي، وراح يعبر عن ندمه وأسفه:

دعـــاني ابـــن الرســـول فلـــم أجبـــه ... ألهفـــي لهـــف للقلـــب الفـــروق

حـــذار منيـــة لابـــد منهـــا ... وهـــل دون المنيـــة مـــن طريـــق

دعـــاني ابـــن النبـــي فلـــم أجبـــه ... ألهفـــي لهـــف للـــرأي الغبـــين

فيـــا نـــدما غـــداة تركـــت زيـــدا ... ورائـــي لابـــن آمنـــة الأمـــين

ويعلق الدكتور يوسف خليف على الكميت بقوله: "إنه تخلف عن نصرة زيد حرصا على الحياة وخوفا من الموت (...) وأنه أصبح يعاني حسرة ولهفة وندما. وهو في هذا صورة من شخصية مدينته السياسية، إنها شخصية ينقصها كثير من روح التضحية والفدائية". ومن المعلوم أن: "زيد بن علي كان يطمح إلى الخلافة كما طمح إليها جده الحسين، فكان يبث دعاته في الكوفة، وكان الكميت من أكبر هؤلاء الدعاة، فهو الشاعر الذي تكفل بالدعوة لزيد شعرا". اشتهر الكميت بهاشمياته في مدح آل البيت، وهو مدح سياسي. ولعل أفضل قصيدة منها بائيته التي عرضها على الفرزدق في البصرة، "فقال له: يا أبا فراس إنك شيخ مضر وشاعرها، وأنا ابن أخيك، الكميت بن زيد الأسدي. قال له: صدقت، أنت ابن أخي فما حاجتك؟ قال: نُفِثَ على لساني فقلت شعرا، فأحببت أن أعرضه عليك، فإن كان حسنا أمرتني بإذاعته، وإن كان قبيحا أمرتني بستره وكنت أول من ستره عليّ. فقال الفرزدق: أما عقلك فحسن، وإني لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك فأنشدني ما قلت. فأنشده:

طربـــت ومـــا شـــوقا إلـــى البـــيض أطـــرب

قال: فقال لي: فيما تطرب يا ابن أخي؟ فقال:

ولا لعبـــا منّـــي وذو الشـــيب يلعـــب

قال: بلى يا ابن أخي، فالعب فإنك في أوان اللعب، فقال:

لـــم يلهنـــي دار ولا رســـم منـــزل

قال: فما يطربك يا ابن أخي، فقال:

ولا الســـانحات البارحـــات عشـــيته

فقال: أجل، لا تتطير، فقال:

لكـــــــن إلـــــــى أهـــــــل الفضـــــــائل والنُّهـــــــى

فقال: ومن هؤلاء ويحك؟ فقال:

إلـــــــى النّفـــــــر البـــــــيض الـــــــذين بحـــــــبهم

فقال: أرحني ويحك من هؤلاء؟ فقال:

بنـــــــي هاشـــــــم رهـــــــط النبـــــــي فـــــــإنني

فقال له الفرزدق: أذع أذع يا ابن أخي، أنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقى. وهذا الحكم النقد الذي صدر عن أكبر نقاد عصره، وهو الفرزدق، لم يكن ليمنح للكميت هكذا، ودون اعتبار، إلا لكونه قد بلغ مكانة كبيرة في الشعر، فالهاشميات "**من أعظم الدرر اللوامع في الشعر العربي، وأن شعر الكميت يسمو بها على شعر غيره وقد أجاد في مدح بني هاشم وأحسن في الدعاية لهم، وصور حكم بني مروان أشنع تصوير، فألهب بها النفوس إلهابا، وأيقظها من غفلتها إيقاظا، حتى هبت للثورة عليه**".

وفي هذه الهاشمية يبين موقفه السياسي من قضية الحكم، ويدافع عن حق الهاشميين فيه، فيقول:

يَقُولُـــونَ لَـــم يُـــورَث وَلَـــولا تُرَاثُـــه ... لَقَـــد شَـــرِكَت فِيـــهِ بَكِيـــل وأرحَـــبُ

وعَـــكٌّ ولَخـــمٌ والسَّـــكُونُ وحِميَـــرٌ ... لَقَـــد شَـــرِكَت فِيـــهِ بَكِيـــل وأرحَـــبُ

وَلا كَانَـــتِ الأنصَـــارُ فِيهَـــا أذِلَّـــةً ... وَلاَ غُيِّبَـــاً عَنهـــا إذَا النَّـــاسُ غُيَّـــبُ

هُـــمُ شَـــهِدُوا بَـــدراً وخَيبَـــرَ بَعـــدَها ... ويـــومَ حُنَـــين والدِّمَاءُتَصَـــبَّبُ

فَـــإن هِـــيَ لَـــم تَصـــلُح لِحَـــي سِـــوَاهُمُ ... فَـــإِن ذَوِي القُربَـــى أحَـــقُّ وأقـــرَبُ

وقد مضى الكميت في هاشميته على هذا النحو من الميل إلى بني هاشم، والجهر بأحقيتهم بالخلافة على بني أمية. وقد اتسم شعره فيهم بمجموعة من السمات الفكرية تطرق إليها الدكتور شوقي ضيف، أذكر منها:

– ان الكميت يُصدر عن ذوق جديد غير معروف قبله، وهو ذوق عقلي، فهو لا يعبر فقط عن الشعور والعواطف وإنما يعبر عن الفكر.

– تصويره للتطور الذي أصاب العقل العربي فهاشميته حجاج وجدال في مسألة الهاشميين.

– هاشميات الكميت مناظرات في حقوق الهاشميين، وهي مناظرات لا تعتمد على الإقناع العاطفي.

– وبهذا فإن الهاشميات جديدة في اللغة العربية، فالشعر فيها يتصل بمنابع عقلية جديدة.

– إنها تؤرخ لنزعة عقلية جديدة.

– الهاشميات ليست مقالة شيعية عامة، وإنما هي مقالة زيدية.

– لم يجد الشعر العربي بمثل ما جاء في الهاشميات من حب آل البيت والدعوة بهم.

3– شعر البكاء:

على إثر اشتعال النزاع السياسي بين الحزب الشيعي وحزب بني أمية، "ظهر عند شعراء الشيعة نوع آخر من الشعر المتصل بأدب المراثي عند العرب، ولكنه كان يتصف بالعاطفة التي تتفجر حزنا وبكاء والتياعا وتفجعا على شهداء أهل البيت من الهاشميين، الذين لاقوا مصرعهم على يد الأمويين أثناء الأحداث والثورات الدّامية والتي دارت فيما بينهم". ومنذ مقتل الخليفة لي بن أبي طالب، والشعراء يبكون عليه، بحرقة شديدة، وكان أبو الأسود الدؤلي، "**من أشهر شعراء الشيعة الذين بكو الإمام علي بعاطفة صادقة، مليئة بالحزن على سقوط الإمام والسخط من القتلة والشامتين**"، بكا أبو الأسود عليا، فقال:

ألا أبلـــــغ معاويـــــة بـــــن حـــــرب ... فـــــلا قـــــرّت عيـــــون الشـــــامتينا

أفـــــي الشـــــهر الحـــــرام فجعتمونـــــا ... بخيـــــر النـــــاس طـــــرّا أجمعينـــــا

قتلـــــتم خيـــــرمن ركـــــب المطايـــــا ... وخيّســـــها ومـــــن ركـــــب الســـــفينا

ومـــــن لـــــبس النّعـــــال ومـــــن حـــــذاها ... ومـــــن قـــــرأ المثـــــاني والمئينـــــا

إذا اســـــتقبلت وجـــــه أبـــــي حســـــين ... رأيـــــت البـــــدر راق الناظرينـــــا

لقـــــد علمـــــت قـــــريش حيـــــث كانـــــت ... بأنـــــك خيرهـــــا نســـــبا ودينـــــا

فـــــلا تشـــــمت معاويـــــة بـــــن حـــــرب ... فـــــإن بقيـــــة الخلفـــــاء فينـــــا

ومن خصائص شعر البكاء أو الرثاء في أدب الشيعة أنه صادر عن قلوب مفعمة بالمحبة والوفاء لعلي، والحزن عليه، وعلى آل البيت لضياع حقهم في تولي الخلافة. وقد كثر بكاء الشعراء على أئمة الشعر، "ومع ذلك فقد جاء متعدد الأهداف والغايات لتنوع المقامات وتعدد المناسبات" .

وهو على ثلاثة أوجه أو درجات منها:

أ- الرثاء الصابر المحتسب، الذي مزج بين عواطف الحزن وعواطف السخط.

ب- الرثاء الثائر الغاضب، الذي يقرن الحزن بالتقريع واللوم للقعود عن الحرب.

ج- الرثاء المتفجع الغاضب، والذي يحمل على الخصوم ويهدّدهم ويتوعدهم. ويعد أبو الأسود الدؤلي، من أشهر الشعراء الشيعة الذين بكوا الإمام علي، بعاطفة صادقة، مليئة بالحزن. كما قلنا آنفا.

4-نشدان الرجعة:

إن من الدعاوى والأماني التي انتشرت في أوساط الشيعة قضية الرجعة، وقد نشرها ابن سبأ اليهودي، "وهي أن الإمام عليا لم يمت، بل إنه سيعود إلى الأرض ليملأها عدلا، وسرعان ما وجدت لها صدى في نفوس أهل الشيعة"؛ وقد أصبحت قضية رجوع الإمام إلى الدنيا ركيزة أساسية في عقيدة أهل التشيع. وكان الشعراء في مقدمة من يحسن التعبير عن هذه المعاني والترويج لها. ولعل أبرز شاعر شيعي صرح بهذا المعنى، "كثير عزة" حيث يقول:

أقـــــرّ الله عينـــــي إذ دعـــــاني ... أمـــــين الله يلطـــــف فـــــي الســـــؤال

وأثنـــــى فـــــي هـــــواي علـــــي خيـــــرا ... وســـــاءل عـــــن بنـــــي وكيـــــف حـــــالي

هـــــو المهـــــدي خبّرنـــــاه كعـــــب ... أخـــــو الأحبـــــار فـــــي الحقـــــب الخـــــوالي

وأما عن أحقية علي وبنيه بالخلافة، فيقول:

ألا إن الأئمـــــــة مـــــــن قـــــــريش ... ولاة الحـــــــق أربعـــــــة ســـــــواء

علـــــي والثلاثـــــة مـــــن بنيـــــه ... همـــــا الأســـــباط لـــــيس بهـــــم خفـــــاء

فســـــبط ســـــبط إيمـــــان وبـــــر ... وســـــبط غيبتـــــه كـــــربلاء

وســـــبط لا يـــــذوق المـــــوت حتـــــى ... يقـــــود الخيـــــل يتبعهـــــا اللـــــواء

تغيـــــب لا يـــــرى فـــــيهم زمانـــــا ... برضـــــوى عنـــــده عســـــل ومـــــاء

وقد جعل كثير من أبناء علي أسباطا ماتوا جميعا ماعدا سبط واحد هو ابن الحنفية الذي تغيب، وسوف يعود. ويقول ابن عساكر في كتابه: "**تاريخ مدينة دمشق**"، **عندما روى هذه الأبيات: "فقال له علي بن عبد الله: يا أبا صخر ما يثنى عليك في هواك خيرا إلا من كان على مثل ذلك، فقال أجل، بأبي أنت، قال: وكان كثير خشبيا يرى الرجعة**". وسبب اقتناع الشاعر بهذه الفكرة هو كثرة الفتن العمياء التي أصابت المسلمين في تلك الفترة، يقول الدكتور قصي الحسين: "**وما من شك في أن كثرة الأحداث التي كانت تصيب سهامها المسلمين بعامة والشيعة منهم بخاصة، هي التي أنتجت فكرة الرجعة، لأنه لم يعد أمام الناس إلا أن تحلم بالإنقاذ، بعد أن استوى الجميع في الفتنة العمياء**". ومن ثم فإن حكم بني أمية كان كابوسا يخنق المشايعين لآل البيت، ولابد من إزالة هذا الحكم، وانتظار المنقذ الذي يأتي لنصرة الشيعة، وإعادة الخلافة إليهم. غير أن هذه الفكرة ظلت تراود الناس حتى بعد سقوط دولة بني امية. وقد كان كثير عزة شيعيا رافضيا كما يرى ابن قتيبة في كتاب عيون الأخبار.

وفيما يخص الميزات الفتية والموضوعاتية لشعر الشيعة، فإننا نخلص من قراءة أدبهم إلى النتائج الآتية:

1- اتسم شعر الشيعة بالجدل والبرهنة واعتماد الحجة، وهو أسلوب جديد في الشعر العربي برع فيه الكميت بهاشمياته، على حساب الجانب الفني، مركزا على الموضوع، فاتصف بالخطابية والمباشرة.

2- بروز عاطفة قوية في أشعارهم، وبخاصة غرض البكاء أو الرثاء الذي يدور موضوعه حول حب آل البيت والولاء لهم والإشادة بمناقبهم، أو تلك التي تعبر عن سخطهم على أعدائهم بني أمية.

3- امتزجت العناصر الدينية بالسياسية في الشعر الشيعي، فمحور نظريتهم هي الخلافة. ولذلك أسبغوا عليها كثيرا من الصفات الدينية.

4- تنوع أساليبهم بتنوع أغراضهم.

3- حزب الخوارج وشعرهم:

يعد حزب الخوارج من أهم الأحزاب السياسية التي نشأت بعد موقعة صفين المشهورة، في أثناء التحكيم بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، لفرضها نتيجة التحكيم بينهما، "وقد حققت غايتها في قتل علي، أما معاوية الذي نجا منها مع عمرو بن العاص، فقد أوقع بها، وحمل على دعاتها وفتك بهم، مما عمق العداء للدولة الأموية في نفوس عموم الخوارج قاعدة وقادة على حدّ سواء". وقد برز تسلط الدولة الأموية عليهم في شعرهم، وفي خصائصه الموضوعاتية والفنية. "**وقد تعددت فرق الخوارج، ومن أشهرها: الأزارقة والاباضية، والصفرية. وقد عرفوا بقوة عقيدتهم، وصلابة مواقفهم وتمسكهم بالقرآن الكريم وعكوفهم على تلاوته. وكانوا ينادون بشعار لا حكم إلا الله، ومن أشهر شعرائهم، الطرماح بن حكم، الذي كان صديقا للكميت بن زيد الأسدي الشيعي. على الرغم من اختلافهما حزبيا**، يقول الطرماح بن حكم مصورا خوف الخوارج من النار:

لقد شقيت شقاءً لا انقطاع له ... إن لم أفز فوزة تنجي من النار

والنار لم ينج من روعاتها أحد ... إلا المنيب بقلب المخلص الشّاري

ويقول أيضا في وصف سلوك أبناء طائفته وتقربهم إلى الله، وكثرة عبادتهم:

لله در الشراة إنهم ... إذا الكرى مال بالطّلى أرقوا

يرجعون الحنين آونة ... وإن علا بهم ساعة شهقوا

خوفا تبيت القلوب واجفة ... تكاد عنها الصدور تنغلق

قوم شحاح على اعتقادهم ... بالفوز مما يخاف قد وثقوا

والخارجي ذو حماسة دينية شديدة، وغايته سامية في قتال خصومه السياسيين، فهو في جهاد مقدس، يخلص فيه لوجه الله، ويترفع عن الغايات والمطامع الدنيوية. فقد خرج "يزيد بن حبناء إلى القتال، فأرسلت إليه زوجته تطلب منه بعض الهدايا، فرد عليها قائلا:

دع اللـــوم إن العـــيش لـــيس بـــدائم ولا تعجلـــي بـــاللوم يـــا أم عاصـــم
فـــإن عجلـــت منـــك الملامـــة فاســـمعي مقالـــة معنّـــي بحقـــك عـــالم
ولا تعـــذلينا فـــي الهديـــة إنمـــا تكـــون الهـــدايا مـــن فضـــول المغـــانم
فلـــيس بمهـــد مـــن يكـــون نهـــاره جـــلاد، ويمســـي ليلـــه غيـــر نـــائم
يريـــد ثـــواب الله يومـــا بطعنـــة غمـــوس كشـــدق العنبـــري بـــن ســـالم
أبيـــت ســـربالي دلاص حصـــينة ومغفرهـــا، والســـيف فـــوق الحيـــازم

ويقدم في هذه الأبيات سبب انشغاله عن احضار الهدايا إلى زوجته، بكونه قد خرج مجاهدا يريد ثواب الله، فنهاره قتال، وليله يقظة ينتظر طعنة بسيف أو رمح تمنحه الشهادة التي يتمناها.

وقد هجا الخوارج خصومهم هجاء شديدا، وكانوا يعتبرون بني أمية كفارا يحل فيهم الجهاد، ويرون أنهم منحرفون عن جادة الصواب مجانبون للحق. ويتهكمون بالإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويقولون إنه أعرض عن كتاب الله ورضي حكم الناس إشارات لقبول الإمام "علي" بالتحكيم. ولذلك يقول ابن أبي مياس المرادي:

ونحـــن ضـــربنا، يـــا لـــك الخيـــر، حيـــدرا أبـــا حســـن مأمومـــة فتفطّـــرا
ونحـــن حللنـــا ملكـــه مـــن نظامـــه بضـــربة ســـيف إذ عـــلا وتحبّـــرا

وبعد مقتل علي واستئثار بني أمية بالحكم "**انصرف شعراء الخوارج عن هجاء الشيعة إلى الأمويين، فقذفوهم بنصال الشعر الحادة، فجعلوهم من أهل الضلال والكفر. ولذلك فديارهم حرب، وقتالهم واجب ودماؤهم مباحة**". وقد هجا عمران بن حطان الحجاج بن يوسف الثقفي بالجبن، وضعف الهمة وبسقوط المروءة، والعجز عن مقاومة الأبطال، بقوله:

أســـدٌ علـــيّ وفـــي الحـــروب نعامـــة بـــرداء تجفـــل مـــن صـــفير الصّـــافر
هـــلّا بـــرزت إلـــى غزالـــة فـــي الـــوغى أم كـــان قلبـــك فـــي جنـــاحي طـــائر
صـــدعت غزالـــة قلبـــه بفـــوارس تركـــت مـــدابره كـــأمس الـــدابر
ألـــق الســـلاح، وخـــذ وشـــاحي معصـــر واعمـــد لمنزلـــة الجبـــان الكـــافر

وبالإضافة إلى الموضوعات السابقة طرق شعراء الخوارج (الشراة)، موضوع الرثاء أو بكاء الشهداء، "حيث وقف شعراء الخوارج يسجلون مهرجان الشهادة الذي أقامه الأبطال باندفاعهم وفدائيتهم، في قصائد مليئة بالسخط والحزن ومعاني الاستشهاد والإقبال على طلب الموت، ابتغاء للحياة". ويتميز هذا النوع من الشعر بعدم الجزع على شهدائهم بل إكبارهم لشجاعتهم.

يقول أيوب بن خولي، يرثي هدية الشكري، وهو ابن عم بسطام قائد الخوارج:

تركـــت تمـــيم بـــن الحبـــاب ملحبـــا تبكّـــى عليـــه عِرســـه وقرائبـــه
وقـــد أســـلمت قـــيس تمامـــا ومالكـــا كمـــا أســـلم الشـــحاج أمـــس أقاربـــه
وأقبـــل مـــن حـــرّان يحمـــل رايـــة يغالـــب أمـــر الله والله غالبـــه
فـــإن يـــك خلّـــي هدبـــة اليـــوم قـــد مضـــى فـــإنّي بـــآلاء الفتـــى أنـــا نادبـــه
فيـــا هـــدب للهيجـــا ويـــا هـــدب للنّـــدى ويـــا هـــدب للخصـــم الألـــدِّ يحاربـــه

ويـــا هـــدب كـــم مـــن ملحـــم قـــد أجبتـــه وقـــــد أســــــلمته للرمـــــاح جوالبـــــه

وكـــــان أبـــــو شـــــيبان خيـــــر مقاتـــــل برجّـــــي ويخشـــــى بأســـــه مـــــن يحاربـــــه

ففـــــاز ولاقـــــى الله بـــــالخير كلـــــه وخذّمـــــه بالســـــيف فـــــي الله ضـــــاربه

وقد كثرت المواقع التي قاتل يها الخوارج أعداءهم من بني أمية، وكثر فيها شهداؤهم الذي كانوا سببا مباشرا في بروز شعر الرثاء أو البكاء عندهم، "وقد غدا شهداء الخوارج الذين سقطوا في موقعة النهروان كابن وهب وأصحابه، رمزا لمعاني التضحية والشهادة في سبيل الحق، ومنبعا لكثير من شعراء الرثاء، الذي تمتزج فيه عواطف الحزن بعواطف الغضب والثورة"؛ هذه من أهم الخصائص المعنوية في شعر الخوارج، إن يرفضون التضعضع أمام أعدائهم، بل يعمدون إلى التماسك أمامهم.

ومن أهم الخصائص التي ميزت شعر الخوارج ف العصر الأموي أنه انعكاس حقيقي لحياتهم، من حيث عمق إيمانهم في عقيدتهم، ومن حيث شدة غضبهم وثورتهم.

– امتزاج روح التأمل والزهد مع روح البطولة والتضحية والفداء.

– بمقتضى إيمان الخوارج بعقيدتهم تخلو عن الإطار التقليدي للشعر العربي وتحاشوا الغزل التقليدي، وتركوا الوقوف على الأطلال وبكاء الديار، أو وصف الرحلة إلى الممدوح، والفخر بالأحساب والأنساب والتغني بالماضي المجيد.

– يقترن الحب لديهم بحب الشهادة.

– طغيان روح الحزن على قصائدهم.

– تميز شعرهم بفصاحة العبارة وقوة الأسلوب، فطبعهم البدوي المهذب لم تفسده تقاليد الحضارة، ولذلك ظل صافيا نقيا، غذاه القرآن الكريم وأشجاه النغم النفسي الحزين.

– قلة شعر الخوارج، لانشغالهم بالقتال، وكانوا يستخدمون الشعر من أجل تعميق الحرب في نفوسهم.

– عرف شعر الخوارج بالتعبير عن وحدة فنية تتصل بالوحدة الموضوعية، خالفوا بهما عمودية الشعر العربي.

– استبدال القصائد الطويلة بالمقطعات القصيرة التي نضحت بعقيدتهم وإيمانهم وحزنهم وأسلوبهم.

– تأثر الخوارج في شعرهم بأسلوب القرآن الكريم لفظا ومعنى.

4– شعراء الحزب الزبيري:

تمهيد:

من المعلوم أن خلافة عبد الله بن الزبير على مكة والمدينة لم تدم إلا تسع سنوات (63هـ–72هـ)، قضاها في صراع وحروب مع بني امية، مشكلا ما عرف بحزب الزبيريين الذي "**بدأ بالظهور زمن معاوية، وكان هذا الحزب يعارض معاوية في أخذ البيعة لابنه يزيد". غير أن معاوية استطاع –بدهائه الكبير– أخذ البيعة لابنه يزيد من عدد كبير من الصحابة، ولم يبق منهم إلا عبد الله بن الزبير، فإنه رفض أن يقدم البيعة، وعارض هذا بشدة، ودعا بالخلافة لنفسه، واستتب الأمر له بعد وفاة معاوية، وابنه يزيد، "فاستولى على الحجاز بكامله وعلى العراق واليمن ومصر**".

وكان أصحاب الحزب الزبيري "**يرون أن الخلافة حق لقريش وحدها، وقد أعلن أبو بكر ذلك يوم السقيفة، وعبد الله بن الزبير و حفيد أبي بكر من ابنته أسماء. وقد نشأ في بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ربته عائشة**". وقد كان لهذا الحزب شعراؤه كما كان لغيره من الأحزاب، ومن أهم الشعراء الذين دافعوا عنه، الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات، الذي احترف فن المديح، تغلب على شعره النزعة العاطفية، "وشعره السياسي يبدو متأثرا بتلك النزعة العاطفية، بعيدا عن الأساليب الخطابية الجهيرة". وقد عرف عبيد الله بن قيس ابن الزبير شقيق عبد الله بن الزبير، وإخلاصه له، وعرف بمعاداته للحزب الأموي، وإسرافه في هجائهم والحمل عليهم، يقول في ذلك:

كيـــف نـــومي علـــى الفـــراش ولمـــا يشـــمل الشـــام غـــارة شـــعراء

تـــذهل الشـــيخ عـــن بنيـــه وتبـــدي ... عـــن براهـــا العقيلـــة العـــذراء

أنـــا عـــنكم، بنـــي أميـــة، مـــزور ... وأنـــتم فـــي نفســـي الأعـــداء

إن قتلـــي بالطّفقـــد أوجعتنـــي ... كـــان مـــنكم لـــئن قتلـــتم شـــفاء

وقد صرّح في شعره بأن الخلافة في قريش، بقوله:

حبّـــذا العـــيش حـــين قـــومي جميـــع ... لـــم تفـــرّق أمورهـــا الأهـــواء

قبـــل أن تطمـــع القبائـــل فـــي ملـــ ... ك قـــريش وتشـــمت الأعـــداء

أيهـــا المشـــتهي فنـــاء قـــريش ... بيـــد الله عمرهـــا والفنـــاء

إن تـــودع مـــن الـــبلاد قـــريش ... لا يكـــن بعـــدهم لحـــي بقـــاء

ومن موضوعات شعر الزبيريين ما يأتي:

1- الإشادة والتأييد:

لقيت حركة عبد الله بن الزبير تأييدا من الشاعر عبيد الله، حتى أصبح الناطق الرسمي باسم الحزب السياسي الزبيري، "كان يلح على إبراز صورة ممدوحه، الرجل العريق النسب والحسب، في معرض الإشادة به وبآله، وتأييد حركته والاحتجاج لخلافته".

يقول عبيد الله بن قيس الرقيات في ذلك:

وابـــن أســـماء خيـــر مـــن مســـح الرّكـــ ... ن فعـــالا وخيـــرهم بنيانـــا

وإذا قيـــل مـــن هجـــان قـــريش ... كنـــت أنـــت الفتـــى وكنـــت الهجانـــا

حيث يفضل الشاعر ممدوحه ابن الزبير على كل من مسح الركن أي الكعبة والحجر الأسود، ويصفه بأنه أفضل قريش حسبا ونسبا، فأمه أسماء بنت أبي بكر، وأبوه الزبير بن العوام حواري رسول الله، فالشرف يحيط به من كل الجهات، ولهذا فهو الأصلح لخلافة المسلمين.

ويقول أبو وجزة السعدي في مدحه أيضا:

راحـــت قلوصـــي رواحـــا وهـــي حامـــدة ... آل الزبيـــر ولـــم تعـــدل بـــه أحـــدا

راحـــت بســـتين وســـقا فـــي حقيبتهـــا ... مـــا حملـــت حملهـــا الأدنـــى ولا الســـددا

ذاك القـــرى لا كـــأقوام عهـــدتهم ... يقـــرون ضـــيفهم الملويـــة الجـــددا

ويمدح آل الزبير بقوله أيضا:

آل الزبيـــر بنـــو حـــرة ... مـــروا بالســـيوف صـــدورا خناقـــا

ســـل الجـــرد عـــنهم وأيامهـــا ... إذا امتعطـــوا المرهفـــات الخفافـــا

مطـــاعيم تحمـــد أبيـــاتهم ... إذا قنّـــع الشّـــاهقات الطّخافـــا

وأجـــبن مـــن صـــافر كلـــبهم ... إذا قرعتـــه حصـــاة أضـــافا

فآل الزبير أهل حرب لا يخشون أحدا في قتال، يسيلون الدماء من صدور أعدائهم الخناق –أي المتعالية، فرسان لهم أيام يسجلها العرب، يطعمون الطعام فهم أهل جود وكرم.

2- هجاء الخصوم: من الطبيعي أن يصب شعراء الزبيريين جام غضبهم على أعدائهم من الأحزاب الأخرى، على عادة الشعراء في التعامل مع خصومهم، من بني أمية الذين اغتصبوا الخلافة، وتربعوا على خيرات المسلمين، واستخدموا بيت المال في

خدمة رغباتهم. كما هجوا الخوارج، والشيعة "ولهذا وجدنا شعراء الحزب الزبيري يحملون على هؤلاء جميعا في أشعارهم باعتبارهم منحرفين عن الحق". كما قام شعراء الزبيريين بالتحريض على بني أمية، وقتالهم، فقد وجه الشاعر زفر بن الحارث الكلابي نقدا لاذعا لسياسة بني أمية، قائلا:

أفـــي الله أمّـــا بجـــدل وابـــن بجـــدل ... فيُحيـــا، وأمـــا ابـــن الزبيـــر فيقتـــل

كـــــذبتم وبيـــــت الله لا تقتلونـــــه ... ولمـــا يكـــن يـــوم أغـــرّ محجّـــل

ولمـــا يكـــن للمشـــرفية فـــيكم ... شـــعاع كقـــرن الشـــمس حـــين ترجّـــل

إن بني أمية لا يراعون الله فيمن يستحق الحياة ومن يستحق الموت، وقوله: "لا تقتلونه"، تحد من الشاعر لهم، أي لا تتوصلون إلى قتل ن الزبير، إلا إذا كان اليوم أغر محجل، أي غاية في الشهرة، لتقي فيه السيوف بالسيوف المضيئة كقرن الشمس.

3- رثاء القتلى:

برز فن الرثاء في شعر الزبيريين لكثرة المعارك التي دارت بينهم وبين بني أمية، وأنصار الشيعة، فكثر قتلاهم، "**وكان من أثر ذلك أن ظهر شعر كثير يبكي هؤلاء القتلى ويرثي مصعب بن الزبير، ويسجل قعود مضر عن نصرته على ربيعة**". وقد تعرض مصعب بن الزبير، وهو والي العراق في خلافة أخيه –لخيانة أهل العراق، في حربه مع الحجاج بن يوسف الثقفي. فكان هذا الشعر يبكي مصعبا ويذم أهل العراق لخذلانهم، وغردهم. يقول عبيد الله بن قيس الرقيات:

لقـــد أورث المصـــرين خزيـــا وذلـــة ... قتيـــل بـــدير الجـــاثليق مقـــيم

تـــولى قتـــال المـــارقين بنفســـه ... وقـــد أســـلماه مبعـــد وحمـــيم

فمـــا نصـــحت لله بكـــر ووائـــل ... ولا صـــبرت عنـــد اللقـــاء تمـــيم

ولـــو كـــان بكريـــا تعطـــف حولـــه ... كتائـــب يغلـــي حميهـــا ويـــدوم

ولكنـــه ضـــاع الـــذّمام ولـــم يكـــن ... بهـــا مضـــريّ يـــوم ذاك كـــريم

جـــزى الله كوفيـــا هنـــاك ملامـــة ... وبصْـــرِيُّهم إن الملـــيم ملـــيم

وإن بنـــي العـــلّات أخلـــوا ظهورنـــا ... ونحـــن صـــريح بيـــنهم وصـــميم

فـــإن نفـــن لا يبقـــوا أولئـــك بعـــدنا ... لـــذي حرمـــة فـــي المســـلمين حـــريم

حيث يبرز الشاعر حزنه العميق على مصعب بن الزبير، الذي قتل من طرف بني أمية. وخذله العراقيون. وهذه القصيدة تنطوي على معان حزينة ممزوجة بالغيظ والحنق والوعيد.

والمتأمل في شعر الحزب لزبيري يجد أنهم دافعوا بشدة عن ابن الزبير وأخيه، وعن حقهما في خلافة المسلمين. وقد اشتهر من هؤلاء الشعراء: عبيد الله بن قيس الرقيات، والنابغة الجعدي، وأبو وجزة الراجز والمتوكل الليثي وسراقة بن مرداس البارقي.

وقد تميز شعرهم في نصرة آل الزبير بمجموعة من الخصائص الفنية، والموضوعاتية الآتية:

- عدم استطاعة هذا الشعر أن يبرهن على أحقية ابن الزبير في الخلافة.
- قلة النتاج الشعري مقارنة بنظيره السياسي في مدح بني أمية وكذلك الشيعة والخوارج، بسبب تقصير ابن الزبير في الإنفاق على الشعراء، من جهة وقصر عمر خلافته من جهة ثانية.
- تردد أصداء أو أثر الصفات الدينية والخلقية في وصف ابني الزبير.
- تميز شعرهم بالصدق لأنه خلى من نزعة التكسب.
- من خصائص أشعارهم قوة العبارة، وجزالة الألفاظ وسهولتها، وحسن العرض، وحرارة العاطفة.

– إضافة شعراء هذا الحزب لونا جديد من الشعر السياسي، عند ابن قيس الرقيات، سمي "بالغزل السياسي"؛ حيث تغزل "بأم البنين" زوجة "الوليد بن عبد الملك"، ثم يتخلص إلى مدح مصعب بن الزبير. ولعل من أبرز قصائد الغزل السياسي، قصيدته التي يقول فيها:

ألا هـــــــزأت بنـــــــا قرشـــــــية يهتـــــــــــــــز موكبهـــــــــــــــا
رأت بـــــــي شـــــــيبة فـــــــي الـــــــرأ س منـــــــــــــي مـــــــــا أغيبهـــــــــا
فقالـــــــــت: ابـــــــن قـــــــيس ذا؟ وغيـــــــــر الشـــــــيب يعجبهـــــــــا

ثم يقول:

ومثلـــــــك قـــــــد لهـــــــوت بهـــــــا تمـــــــــــام الحســـــــــن أعيبهـــــــــا
ظللـــــــــت علـــــــــى نمارقهـــــــــا أفـــــــــــــــدّيها وأخلبهـــــــــــــــا
وبـــــــــتّ ضـــــــــجيجها جـــــــــذلا ن تعجبنـــــــــــــــي وأعجبهـــــــــــــــا
فكانـــــــت ليلـــــــة فـــــــي النـــــــو م نســـــــــــــــمرها ونلعبهـــــــــــــــا